الحضارة ظاهرة إنسانية

محمد عبد الجبار الشبوط
لندن

في البدء، لم يكن الانسان شيئا مذكورا، كما في قول القران الكريم: "هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا". كان ذلك في عصور ما قبل التاريخ، حين كان الانسان كالحيوان، بدماغ اقل حجما من حجمه الحالي، وعيش في الكهوف على الصيد وجمع الثمار. حيث كان الانسان كائنا طبيعيا، يعيش على الطبيعة، في مجموعات متفرقة، لا يميزه شيء عن الحيوانات وخاصة فصيلة القردة العليا اكثر من المشي منتصبا على ساقين، وعقل في طور النمو والتكامل. كان الانسان انذاك كائنا بدائيا لا يعرف الا القليل من الامور والمعارف، ويعيش ضمن جماعات صغيرة من اقرانه، متنقلا بين الكهوف والغابات والسهول، بحثا عن الطعام. وذات يوم، ربما قبل عشرة الاف سنة، اكتشفت الجماعة البشرية التي كانت تعيش في وادي الرافدين الزراعة، ومنذ النبتة الاولى التي زرعها الانسان، بدأت حضارة الانسان. حيث انتقل الانسان من الغزو الى خلق الثروة، كما قال الفين توفلر. ومع هذا الاكتشاف، جعل اللهُ الانسان خليفة له في الارض، الامر الذي اثار استغراب الملائكة لقول الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً". اذ لم يستوعب الملائكة ان يكون هذا الكائن الذي رأى الملائكة منه امورا سيئة لا تتناسب مع جعله سيدا على الارض، فقالوا لله: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ". ولم يكن هذا سؤال استنكار واحتجاج، انما سؤال استعلام واستغراب، لانهم لم يكونوا يعلمون الغيب، وما سوف يؤول اليه امر هذا المخلوق الذي سيكون اخر ما خلق الله. فاكتفى الله بان قال لهم: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، وسلّم الملائكة لقول الله، الذي انصرف لماهو اهم من مجادلة الملائكة، اعني تعليم الانسان، و منحه القدرة على التعلم والترقي ممثلة بالعقل، واكتمال حجم الدماغ على ما هو عليه الان: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ". وكان ما سوف نطلق عليه اسم "الحضارة" نتيجة سعي الانسان الى تحسين حياته بالتفاعل مع الطبيعة التي سخرها الله له بالعمل المستند الى العلم والزمن، والمعارف الاولية التي علمها الله للانسان، والقدرة التي اودعها فيها على زيادة هذه المعارف والعلوم. فكانت كل تجربة يخوضها الانسان مع الطبيعة للارتقاء بمستوى حياته، تزيده علما، ففي التجربة، كما قال الامام علي، علم مستأنف، اي علم جديد، وكان هذا العلم الجديد يطور تجارب الانسان اللاحقة مع الطبيعة، وهي التجارب التي تزيد علم الانسان بدورها، ما جعل الخط البياني لعلوم الانسان يسير بشكل تصاعدي تراكمي الامر الذي انتج اول حضارة في الارض، في وادي الرافدين، فكانت الحضارة ظاهرة انسانية، يسهم في انتاجها الانسان، الانسان بعنوانه المطلق بغض النظر عن الاوصاف التي نطلقها عليه. في هذه الاثناء برزت ظاهرة اخرى في الجماعة البشرية تمثلت بظهور اشخاص حكماء يواصلون تعليم البشرية المعارف الاولية، بما منحهم الله من المعارف والعلوم. وكانت هذه الظاهرة تتطور مع تطور الجماعة البشرية وتعقد حياتها. فلما انتج التطور الملكية الفردية لما تنتجه يد الانسان، وبدأ التنازع بين البشر على هذه المنتجات، بما فيها ملكية الارض المزروعة، حتى برزت الحاجة الى القانون الذي ينظم امور هذه الجماعات البشرية، ويحل نزاعاتها. وكان اول المشرعين رجال علمهم الله ذلك، فظهر الانبياء الرسل، واولهم نوح عليه السلام. وكان على نوح ان يخبر الناس ان القوانين التي اتى بها ليست من عنده، وانما من الله، فكان عليه ان يشرح للناس من هو الله، ويدعوهم الى طاعته من خلال الالتزام بالقوانين البسيطة التي جاءهم بها، وهذا هو "الاساس الديني" للالتزام بالقوانين. فامن بعض الناس بما جاء به نوح، ولم يؤمن البعض الاخر، وكان هذا هو الانقسام الثاني في الجماعة البشرية، وهو الانقسام على اساس الدين وبسببه. ولما تفاقم هذا الانقسام في الجماعة البشرية في عهد نوح، وعجز نوح عن اقناعهم بالالتزام بالقوانين التي جاء بها، حصل الطوفان في وادي الرافدين الذي تداول العراقيون قصته بعد ذلك في اساطيرهم كدليل على غضب الله عليهم، وادركوا انه لابد لهم من القانون الذي يحفظ حياتهم. فبدأت تظهر المدونات القانونية واشهرها المعروفة بمسلة حمورابي التي علمها اله الشمس لهذا الملك البابلي. وهذا اشارة الى مصدرها الالهي، ولا يستبعد ان حمورابي استلها من تعاليم الانبياء، اعتبارا من نوح ومن جاء بعده، قبل ظهور موسى. وكان هذا اشارة الى التمازج بين الدور الالهي والدور البشري في تنظيم شؤون الجماعة البشرية. كانت النبوات تسير جنبا الى جنب مع البشرية وتتطور بتطورها حتى وصلت ذروتها بنبوة محمد، التي جاءت بعد وصول العقل البشري الى درجة كبيرة من النضج، مرورا بكتابة التوراة وكتابات الاشخاص الحكماء الذين ظهروا في مختلف الجماعات البشرية بعد موسى في اليونان والصين والهند ومصر وصولا الى عيسى في فلسطين.

مجموعات بشرية

وما لبثت مجموعات بشرية اخرى، خاصة تلك التي كانت تعيش في دلتا النيل وعلى ضفافه الشمالية في افريقيا، ان صنعت حضارتها هي الاخرى (الحضارة المصرية التي ظهرت بعد ٢٠٠ سنة من ظهور حضارية وادي الرافدين). ولم يمض الا زمن قليل حتى التقت الحضارتان، وبدأ بينهما التفاعل والتبادل، او "الحوار الحضاري"، كما سنطلق عليه بعد عدة الاف من السنين. ومنهما انتقلت الحضارة الى جزيرة كريت في البحر الابيض المتوسط وجزائر اليونان الاخرى في بحر ايجة غربا والى ايران والهند والصين شرقا. واستمرت الجماعات البشرية في تقديم اسهاماتها الحضارية بالتبادل والتفاعل، مرورا بالحضارة الاسلامية في الشرق الاوسط، والاندلس، التي اطلقت عصر النهضة في ايطاليا، ثم بقية انحاء اوروبا، فالنهضة الصناعية، فالقارة الاميركية الشمالية، وصولا الى الحضارة البشرية الراهنة التي هي حصيلة جهود كل البشر لتحسين مستوى حياتهم على مدى اكثر من 7 الاف سنة. صحيح ان تاريخ البشر شهد صدامات واحتكاكات حضارية كان اشهرها الاحتكاك الاسلامي-المسيحي سواء عبر الحروب الصليبية في الشرق الاوسط او في الاحتكاك المعرفي في اسبانيا، الا ان هذه الاحتكاكات كانت السبيل المتوفر للتكامل والتبادل بين الحضارات والشعوب، وصولا الى عولمة الحضارة الانسانية في مرحلتها الثالثة الحالية. وصحيح ان بعض الشعوب تتمسك في بداية الاحتكاك بالحضارات الاخرى، بمفهوم الخصوصية الحضارية، الا ان الغلبة تكون دائما للاندماج الحضاري، كما حصل في الاصطدام بين المغول والمسلمين، وبين المسلمين والاوروبيين المسيحيين، او بين مختلف شعوب العالم منذ الثورة المعلوماتية اعتبارا من النصف الثاني من القرن العشرين وبدء حقبة الانتروبوسين التاريخية الكبرى.

كل هذا يؤكد مقولتنا التي جعلنها عنوانا لهذا المقال، وهي ان الحضارة ظاهرة انسانية، وهي حصيلة الجهد البشري المشترك من اجل تطوير الحياة وتحسينها بالاستفادة من الطبيعة وخيراتها وكنوزها التي سخرها الله للانسان وطلب منه ان يسعى في مناكبها واكتشافها واستثمارها، وهي خيرات اثبت التاريخ انها لا تنضب مصداقا لقول القران الكريم الذي خطّأ نظرية مالتوس التشاؤمية القاصرة: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ".

وقد اباح السيد محمد باقر الصدر في فهم هذه الاية حيث قال:

"فهذه الفقرات الكريمة تقرر بوضوح ان الله تعالى قد حشّد للانسان في هذا الكون الفسيح كل مصالحه ومنافعه، ووفر له الموترد الكافية لامداده بحياته وحاجاته المادية، ولكن الانسان هو الذي ضيع على نفسه هذه الفرصة التي منحها الله له بظلمه وكفرانه: ان الانسان لظلوم كفار.

فظلم الانسان في حياته العملية وكفرانه بالنعمة الالهية هما السببان الاساسيان للمشكلة الاقتصادية في حياة الانسان.

ويتجسد ظلم الانسان على الصعيد الاقتصادي في سوء التوزيع ويتجسد كفرانه للنعمة في اهماله لاستثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها. فحين يمحى الظلم من العلاقات الاجتماعية للتوزيع، وتجند الطاقات للاستفادة من الطبيعة واستثمارها تزول المشكلة الحقيقية على الصعيد الاقتصادي".

دولة حضارية

وهذا ما يتكفل به المركب الحضاري والقيم الحافة به، او بعبارة اخرى: الدولة الحضارية الحديثة. والدولة ظاهرة بشرية، بمعنى انها تمثل احدى مراحل التطور السياسي والاقتصادي للبشرية. لكن الانسان في فجر الحضارات آمن بالاصل السماوي (الالهي) للدولة.

وهذا ما ورد في الاثر التاريخي المهم المعروف باسم "اثبات الملوك السومرية"، الذي يقول طه باقر بشأنه انه من المرجح انه كتب في عهد سلالة اور الثالثة (2112–2004ق م)، حيث جاء في هذا الاثر ان "الملوكية هبطت من السماء". وكان من بقايا هذا الاعتقاد نظرية الحق الالهي في الحكم، وهي النظرية التي آمن بها ملوك اوروبا في العصور الوسطى.

ولكن البشرية واصلت تطورها في اقامة الدول، ومرت بتجارب كثيرة بعضها مريرة جدا، حتى وصلت الى ما اطلقتُ عليه اسم "الدولة الحضارية الحديثة"، وهو مصطلح قد لا تجده في كتب القانون الدستوري والعلوم السياسية. وهو مصطلح يتجاوز الحمولات الايديولوجية التي تحملها مصطلحات اخرى مثل مصطلح الدولة الشيوعية او الدولة الاسلامية او الدولة الرأسمالية.

حكومة علاوي المرتقبة بين (عرب الشيعة والسنة) والكرد

عبد الخالق الشاهر
بغداد

غبت عنكم قرائي الاعزاء لفترة بسبب سفري لأجراء عملية جراحية سبق ان اجريتها في العراق وفشلت ، ولا اكتمكم سرا انه رغم عذاب العملية الا اني كنت مرتاحا كوني ابتعدت عن آلام العملية السياسية التي هي تشبه اي شيء عدا ان تسميها سياسة وثبت لي ان آلامها اشد من آلام اية عملية جراحية رغم ان تخديرها العام اقوى من تخدير اية عملية جراحية فوق الكبرى ... عمليتي نجحت والعملية السياسية بقت في وحل فشلها (احزاب سلطة هي الاحزاب الدينية برمتها وفشلها معروف لكم ولن ينصلح الا بدستور يضع العمامة المقدسة في مكانها الصحيح (المساجد والكنائس والمعابد) وليس في البرلمانات والحكومات، ويحدد واجبها المقدس (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وليس الهبوط بالأديان النقية الى وحل السياسة ... بغير ذلك لن تنجح اية عملية سياسية وأعطيكم سبب واحد بسيط هو انه لا يوجد حزب اسلامي صحيح فهناك احزاب سنية وأخرى شيعية والباقي احزاب مجهرية مهما حاولت ان تنموا وتتطور .. ذلك لأنها تخرب عمل الاحزاب الدينية بنوعيها . وعليه فان احزاب السلطة الدينية طائفية برمتها مهما حاولت التمشدق في برامجها السياسية -ان وجدت- لأن بنيتها التنظيمية (اما شيعة فقط وأما سنة فقط) مع حشر بعض الأسماء من المذهب الآخر لتحسين السمعة وهذا كله يفضح طائفيتها تماما وبالتالي ينبغي لمن يريد ان يصلح حال العراق عليه ان يحضر هذه الاحزاب ان لم تغير بنيتها التنظيمية وسلوكها الذي بني على تلك البنية التنظيمية.

لعدم الاطالة اقول عن المشهد الحالي والذي هو وجود مكلف لا اريد الغوص في تفاصيله وجنسياته وهل هو مجرب ام غير مجرب ولكني متأكد بأنه مكلف بتحقيق جزء من مطالب الانتفاضة التشرينية ومحاولة تمييع جزء والالتفاف على الجزء الآخر وسيجد ان التمييع والالتفاف ليس بالأمر السهل وهذا المكلف جاء عن كتلة كبرى وبدعم من كتلة اكبر وكل كتلة كبيرة يكون دورها في الفساد (الفرهود) والشلل كبيرا يتناسب طرديا مع حجم الكتلة وهذه ليست نظرية اخترعتها بل هي حقيقة رياضية بسيطة ، فضلا عن اني لا انظر الى الاشياء من الخارج كوني عملت لفترة طويلة في مجال الستراتيجية الشاملة فأعرف ان فيلق بدر صار منظمة بدر وفي حينه نشرت مقالا ذكرت فيه موقفي في سمنار لدراسة هل ان القادة العسكريين يصلحون لأن يكونوا محافظين وهذا ما ساد في تسعينيات القرن الماضي وكان الكل ضدي فقلت لهم اخيرا لنستخدم علم الرياضيات ونقول (اذا كان قائد الفرقة يصلح ان يكون محافظا فعليه يمكن للمحافظ ان يصبح قائد فرقة وبما ان الافتراض الثاني مستحيل فالافتراض الاول مستحيل ، وهذا ما عكسته بمقال يوم تغير فيلق بدر الى منظمة بدر قلت (اذا كان الفيلق يمكن ان يتحول الى منظمة فأن المنظمة يمكن ان تتحول الى فيلق وبما ان الافتراض الثاني مستحيل فالافتراض الاول مستحيل) ... أما الكتل الاخرى المتحالفة مع (فيلق)بدر فهي فصائل مسلحة رسمية وغير رسمية فلا يمكن قبولها في العملية السياسية لو اعادوا اخراج فلمها الف مرة ومرة (رمانتين بفد ايد ما تنلزم) .. اما الكتلة الاخرى فولدت تحت اسم (جيش الامام المهدي) وتحولت الى تيار سياسي زائد سرايا السلام.

لاعب قوي

جاء المكلف واعيا لوجود لاعب قوي جديد لم تفلح كل انواع القمع في اضعافه بل بات يتقوى ويتطور تطورا طرديا مع الرصاص الحي وقنابل الطرف الثالث والقناصين وقواعد الاشتباك المضحكة (؛الرمي المباشر لقنابل الغاز على المتظاهرين) ولعل آخرها كان محاولة فضح هؤلاء المنتفضين بمواضيع مخجلة فهناك من يقول ان الطابق الفلاني من المطعم الهندي لا ينامون فرادى بل شاب وشابة ولعل آخرها جريمة قناة آسيا التي اغتاظت من ثورة البنفسج لتعرض علينا فلما قذرا يؤكد ان بناتنا في الجامعات كلهن عاهرات وأن هناك طالبة قوادة لديها فقط مائة طالبة عاهرة وأن هناك قوادين طلبة على الطلبة الآخرين وبهذا نكون كلنا بلا شرف ولا اعتب على احد بقد ما اعتب على نقابة المحامين والادعاء العام على سكوتهم عن هكذا كلام قذر خطير بحق الشعب العراقي برمته .

هذا اللاعب القوي بات حقيقة ماثلة لا يمكن تجاوزها مطلقا ومن يتجاوزها فأنه يتجاوز قوانين الصراع الازلية والابدية ..... وهنا بيت القصيد وهو ان المكلف اي كان لابد له ان يرقص على انغام الشارع بل وأن حتى الاحزاب الفاسدة لا بد ان تشاركه الرقص ولا بد ان تعذره عندما يرفض اوامرها في تعيين فلان وفلان خصوصا وأن فترة هذه الحكومة (ما تسوى الذنب) وسيقول لهم ان الحديدة حارة وهم وعوا حتما ذلك بطريقة او باخري وبدرجة او بأخرى.كرد السلطة يريدون ترسيخ دولتهم من خلال وزارة المالية ووزارات اخرى فحقدوا على المكلف اما سنة السلطة الذين هم جزء من الفساد والفشل يضاف الى انهم كقاعدة لها شواذ كانوا ولا زالوا يمشون جنب الحيط ولم يمتلكوا الجرأة حتى للسؤال عن آلاف المغيبين من محافظاتهم، واليوم يطل البعض على الشاشات غاضبين لأن المكلف متعالي ، وأنا متأكد ان التعالي يعني لديهم انه رفض تعيين من يريدون تعيينه .... وهنا تجدر الاشارة انه لا فرق بين شيعة السلطة وسنتها فهم الا ما ندر محكومين بقانون الفرهود رقم (1لسنة 2003وهذا القانون هو عمود خيمة العملية السياسية وبسقوطه تسقط العملية السياسية

فرصة اخيرة

وأخيرا اذكر ان نفع التذكير برسائلي الموجهة (الى السيدات والسادة نواب الفرصة الاخيرة) مع بدء الدورة الحالية ، وأقولها لهم وللجماهير قبلهم ان اية حكومة تتشكل ويؤثر فيها البرلمان المنتخب (افتراضا) من لدن 18% من الشعب وبالطرق المعروفة التي اوضحها السيد هادي العامري قبل ايام بقوله ((ان الانتخابات ينبغي ان تجري بعيدا عن المال والسلاح)) فأنها ستكون اسوأ بكثير من حكومة يقترحها مكلف تحت الضغط الجماهيري العارم لأن النواب عادة ما يشعرون انهم بعيدين عن محاسبة الجماهير اما المكلف فهو من سينصب عليه غضبها كما انصب الغضب على السيد عادل عبد المهدي لأنه لم (يتعالى) على الكتل السياسية ، وأضاع علينا وعليه فرصة التغيير وستكون حكومته بهمة الشباب المتكلين على الله آخر حكومة محاصصة .أخيرا اقول ان تقييم غضبة بعض النواب على (تعالي) المكلف عليهم هي رغبة للعودة الى المحاصصة التي هي اخطر من فيروس كورونا في بلد ليس فيه اجهزة فحص في المنافذ الحدودية.

الإقتصاد الرقمي والنمو الإقتصادي للبلدان

فؤاد الصباغ
تونس

إن ثورة تكنولوجيات الإتصال والمعلومات أوحت لنا اليوم بأن العالم قد تغير برمته وغيرت معه الأساليب العلمية والمهنية،مما خلقت من الفضاء الإفتراضي واقعا ملموسا في شتي المجالات ولإختصاصات الحيوية للإقتصاديات الوطنية.

إذ كان أكبر المستفيدين من تلك التكنولوجيات الحديثة هو الإقتصاد الرقمي بحيث خصصت بأغلب البلدان العالمية وزارات مختصة و مهتمة بذلك الإقتصاد الحديث. كما أن أهم مستفيد من كل تلك التكنولوجيات والتقنيات نذكر بالأساس الإقتصاديات الصاعدة لبلدان جنوب شرق آسيا وبعض الدول العربية التي راهنت بدورها علي ذلك النوع من الإقتصاد الصاعد والواعد والذي أصبح يعتبر مؤخرا العمود الفقري الهام للتنمية الإقتصادية والمحفز الرئيسي للنمو الإقتصادي. لكن هذا لا يعتبر في حد ذاته كافي بل مازالت تلك البلدان تحتاج إلي مزيد الدعم في بنيتها التحتية الرقمية من خلال تركيز مراكز للبحوث وللتجديد في مجال تكنولوجيات الإتصال والمعلومات وخلق منتجات جديدة خاصة بها بعيدا عن دائرة النسخ واللصق للإبتكارات التكنولوجية للدول المتقدمة. إن العولمة الرقمية حولت العالم برمته إلي قرية صغيرة أو بالأحرى إلي غرفة صغيرة بحيث قلصت داخلها المسافات والأزمان لتبرز أنواعا جديدة من التجارة والتسويق التي أصبحت تراهن علي تلك التكنولوجيات عبر شبكة الإنترنت،إنتشار مراكز النداء،التدريس عن بعد،المكتبات الرقمية،الإدارات الإلكترونية وغيرها من التكنولوجيات المتطورة جدا ليصبح الروبوت البديل الرئيسي للإنسان مما جعل لتلك الشبكة الإفتراضية فضاءا متكامل الأبعاد والأهداف بحيث أصبحت تجري في صلبها المعاملات المالية والمبادلات التجارية بمجرد ضغط علي زر حاسوب. فالسيولة المالية داخل ذلك الفضاء الإفتراضي أضحت تقدر بمليارات الدولارات وذلك حسب تقارير الخبراء في ذلك المجال بحيث أصبح التداول و شراء الأسهم والسندات متاحا للجميع و لأي شخص في العالم و ذلك بمجرد ولوجه داخل الشبكة العنكبوتية وشحن بطاقته الإئتمانية ثم الإستثمار في العملات الرقمية أو الإلكترونية من خلال شرائها وبيعها داخل ما يعرف بأسواق الفوركس. أما المشاريع الرقمية الحديثة فهي أيضا ساهمت في تنشيط الحركية الإقتصادية للبلدان ذات الإقتصاد الصاعد والتي وضعت رهانا مستقبليا علي تلك التكنولوجيات من خلال تنويع منتجاتها الصناعية في الإلكترونيات ودعم الإبتكار في الفضاء الإفتراضي و أبرز دليل علي ذلك نجاحات بلدان جنوب شرق آسيا والتي تعتبر الرائدة دوليا في مجال التكنولوجيات الحديثة. أيضا من أبرز البلدان العربية الصاعدة نذكر دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية التي أصبحت بدورها تستغل تلك التكنولوجيات بشكل متصاعد ومتزايد في جميع إداراتها الحكومية وزادت في تحفيز المستثمرين المحليين و الأجانب من أجل إنشاء مشاريع رقمية ذات مردودية عالية.

ثورة تكنولوجيات الإتصال والمعلومات

إنطلقت ثورة تكنولوجيات الإتصال والمعلومات بشكل ملحوظ مع بروز شبكة الإنترنت منذ مطلع العشرية الفارطة كوسيلة للإتصال و التواصل بين البشر في مختلف دول العالم. إذ كان نسق نمو تلك التكنولوجيات مستمرا تصاعديا ودوليا،مما حفز دول جنوب شرق آسيا بمزيد التخصص في الإقتصاد الرقمي وتشكيل نواة قوة دولية من خلال دعم صناعة الإلكترونية مثل الهواتف الجوالة المتطورة والتلفاز الذكي الرقمي والروبوت الآلي والأحدث من كل ذلك هو إنشاء العديد من التطبيقات والبرمجيات و تطوير محتواها بشكل دائم ومستمر مما يجعلها بالفعل ثورة حقيقية بإمتياز. إن تكنولوجيات الإتصال والمعلومات تعتبر القاعدة الأساسية من أجل تنشيط الإقتصاديات الوطنية بحيث أصبحت مؤخرا تحتل المراتب الأولي من حيث المساهمة في المبادلات التجارية الدولية و تحويل الأموال الأجنبية خاصة بالدولار و اليورو. فتلك التكنولوجيات تعتبر اليوم مصدر تراكم حقيقي للثروة الوطنية إذ إستغلت بشكل إيجابي في مجال "الصناعات الإلكترونية و الخدمات الرقمية" مع تشجيع الشبان من أجل إنشاء مشاريع صغيرة في ذلك المجال أو مخابر بحث وإبتكار وتطوير في جزئياتها. فالعولمة الرقمية ساهمت في دمج الإقتصاد الدولي في إقتصاد موحد بحيث زادت نسبة الإنفتاح التجاري و التنظيم المالي لتلك الإقتصاديات الصاعدة وأيضا ساهمت في تحرير الأسواق والأسعار في سوق عالمية واحدة متجاوزة بذلك الحدود التقليدية لتشكل حديثا حدودا إفتراضية موحدة مما تساهم بذلك في إنعاش خزينتها المالية العمومية وتنشط من مبادلاتها التجارية.

مشاريع رقمية ذات مردودية عالية

إن بروز العديد من المشاريع الرقمية مؤخرا علي غرار مراكز النداء،التجارة الإلكترونية،التسويق الإلكتروني،الأسواق المالية الإفتراضية،بنوك تحويل العملات،المدارس الرقمية،المعاهد والجامعات الخاصة الإفتراضية،التطبيقات و البرمجيات الحديثة تعتبر في مجملها ثروة وطنية تساهم بشكل إيجابي في تراكم الناتج القومي الخام الحقيقي،مما يجعلها المحرك الرئيسي للنمو الإقتصادي و تخلق بدورها العديد من فرص الشغل للشبان المتخرجين. إن التكنولوجيات الحديثة لها تأثيرات مباشرة علي نسبة النمو الإقتصادي الإقتصادي بحيث تجعلها جزءا لا يتجزأ من الثروة الوطنية و التي تكون في محور ترابطي مع تراكم ثروة الموارد البشرية والتقنية والعمومية. فالنمو الإقتصادي لتلك البلدان ذات الإقتصاد الصاعد يتشكل علي قاعدة نسق إيجابي كلما تقلصت الفجوة الرقمية بينها وبين البلدان المتقدمة وكلما زادت قدرتها التنافسية دوليا في ذلك المجال الحيوي وزادت نسبة إستثماراتها وصادراتها. فالإستقلالية التكنولوجية من خلال خلق منتج خاص من الإلكترونيات والتقنيات بالبلدان ذات الإقتصاد الصاعد وهي بالأساس دول جنوب شرق آسيا يجعل من إقتصادياتها الوطنية قوية علي المدى البعيد ومن مبادلاتها التجارية أكثر ناجعة وفاعلية علي الصعيد الدولي.

ففي هذا المجال تعتبر التجربة الصينية في مجال خلق مشاريع رقمية أهم عنصر فعال للنسج عليها خاصة بتلك البلدان من خلال التنويع في إنتاج تطبيقات وبرمجيات باقل التكاليف ودخول في سوق تنافسية مباشرة مع البلدان المتقدمة. إجمالا تعتبر تلك المشاريع الرقمية الشريان الحيوي لتلك الإقتصاديات القادرة بالنتيجة علي تحقيق نمو إقتصادي مرضي وفي نسق تصاعدي،بالتالي تحقق فائض مالي وتجاري وتقلص من نسبة المديونية وتقلل من مخاطر بروز وإنتشار الأزمات الإجتماعية أو الإقتصادية.

مابقي من الوقت

جاسم مراد
هلسنكي

مما لاشك فيه أي تساهل أو محاباة للاخطاء الكبرى ، فأنها تسبب سقوط حتمي لكل حالة سياسية أو مشروعا اقتصاديا أو حتى على مستوى العلاقات العامة والاجتماعية ، فلا أحد يستطيع إخفاء فشل التجربة السياسية مابعد الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003 فهي قد فشلت من حيث علاقتها مع الشعب وفشلت في عملية البناء وتنفيذ استحقاقات المواطنين ، وفشلت في المجالات الاقتصادية والزراعية وفي البنية التحتية وفي مجالات الصحة والكهرباء وغيرها من الجوانب المتعددة الاخرى .

وأي حزب أوكيانات سياسية تتعامل بمنطق الحقائق ، لابد لها إن ارادة معالجة الازمات ، أن تراجع اسباب الفشل وتعالجة وتتخذ الاجراءات الكفيلة بالتصحيح ، لكن تجربة القوى والكيانات السياسية مابعد 2003 على اختلاف عقائدها وتوجهاتها استمرت هذه الحالة وعمقتها بانشاء مصادر اقتصادية لتلك الكيانات في نهب المال العام واشاعة الفساد الذي بدأ في البوابة الاولى للدوائر والمؤسسات والوزارات ولم ينتهي عند الطبقات العليا الحاكمة للسلطة .

ثورة عارمة

هذه التجربة السياسية العراقية التي بنيت على اساس المحاصصات ، والركون على المذهبية الدينية والعرقية القومية قد سقطت حتماً عندما رفضها الشعب وقاد ضدها الشباب ثورة عارمة سجلت منابع عمقها واستمراريتها من التناقضات الحادة بين الشعب المسحوق اقتصاديا ومعيشيا وانسانيا وبين طبقات السلطة الحاكمة إذ كان ذلك في مركز السلطة أو في اقليم كردستان أو في المحافظات الوسطى والجنوبية والغربية ، وإذا يؤخذ على جماهير المنطقة الغربية والشمالية عدم النهوض بالثورة مثلما هو في المناطق الوسطى والجنوبية ، فهذا لايعني عدم المشاركة الروحية والانسانية والبشرية في بعض الاحيان ، فكل الشعب على اختلاف اماكن انتماءاته وتواجده السكاني هو مع الثورة الشبابية المطالبة بالتغيير .

مايهمنا في هذا المجال التأكيد ، بأن تجربة المحاصصة المذهبية والعرقية قد سقطت جماهيريا ، وان الهيكلية السياسية التي اعتمدتها هذه القوى لم يعد لها مسوغ الاستمرارية ، وان الاصرار لدى تلك القوى الحاكمة على الابقاء عليها يعني ذلك إن عقول قادتها قد تحجرت ولم ترى رؤية التطورات في داخل العراق وفي العالم ، وهذا يجعل مابقي من الوقت للاستجابة للارادة الشعبية الثائرة جعل شرارة الصراع مستمرة وقد تحرق السهل كله ، وهذا مالايريده أي وطني غيور على شعبه وبلاده .

لقد استمعنا كمراقبين للاحداث ، حوار السيد نوري المالكي رئيس الوزراء السابق في قناة العراقية ، وأن كان فيه الصراحة في الاجابة على كثير من التساؤلات لكنه اخفى الاخفاق الحقيقي لتجربة وزارته على مرحلتين ، وطبيعة النظام القائم على هيكلية المحاصصة ، ثم لم يتطرق الى الفشل الشنيع لكل المحافظات الوسطى والجنوبية في ادارات سلطاتها وفي التخريب الجدي الحاصل في تلك المحافظات بدءاً من مداخلها وصولا الى عمقها ، كذلك لم يتناول الهوة السحيقة التناقضية بين مصالح وحقوق الجماهير من جهة وسلطات تلك المحافظات وخصوصا مجالسها التي تحولت بوابات مشرعة لعمليات الرشاوي والفساد وتأسيس الشركات الوهمية .إن الوضع الراهن لايحتاج الى تحميل التدخلات الخارجية لبعض عناصر الانتفاضة المشروعة ، وان كان ذلك ، لكنه يحتاج الى مصارحة حقيقية مع الشعب بصورة عامة وجماهير المحافظات الوسطى والجنوبية بوجه خاص حول فشل تجربة النظام المبني على المحاصصة والمذهبية ، ويحتاج ايضاً الاعتراف بشيوع الفساد في تلك المناطق وفي العراق عموما بسبب هذا النظام ، واللجوء الى عملية تغيير وطني وثوري بقيادات مخلصة للعراق وللجماهير لكي يتم الشروع في توظيف موارد العراق نحو البناء الحقيقي في كافة المجالات وتلبية مطالب الشعب والنهوض بمستواه المعيشي والصحي والخدمي وتطوير تلك المحافظات بما يليق بتضحية ابناءها في كافة المعارك الوطنية .

مصالح ذاتية

إن الانسان العراقي يشعر إن ولاءات القوى السياسية الحاكمة ليس للعراق ، وإنما لمصالحها الذاتية ومن يرعاها من الدول الخارجية ، وهذا الشعور بات يشكل حالة ارهاق للمواطنين وصل به الحال الى الثورة السلمية التي لم يشهد مثلها تاريخ العراق وحاضره ، وهذا الأمر يحتم على كل القوى السياسية الحية مراجعة سياساتها وبرامجها ومواقفها والاسطفاف مع الشعب في عملية التغيير ، وبناء دولة المؤسسات والمواطنة ، والتخلص من كل التشكيلات التي لاضرورة لوجودها سيما اثبتت فشلها الشنيع وفي المقدمة منها مجالس المحافظات ، والعمل الجدي على تغيير بعض بنود الدستور التي يتعكز عليها البعض لتخريب الدولة العراقية وتقسيم البلاد على اساس طائفي وعرقي .لايتصور احد من حكام المحاصصة الذين انشئوا منظومة الفساد ، بأن ثورة الشعب يمكن ان تخمد ، قد تمر بفترة وجيزة من الاستراحة ، لكنها سرعان ماتعود باكثر جذوة واندفاع وبالتالي يتم الفعل الذي لم يكن باستطاعة أحد التصدي له ، ولعل من يدقق بتقديم الشباب خلال اربعة اشهر فقط اكثر من (600) شهيد والاف الجرحى ، فالشعب قادر أن يقدم اضعاف هذا العدد حتى بلوغ اهدافه في النظام الوطني البناء . ثم على الجميع أن يدرك مادام التناقض قائم بين الشعب الموجوع من جهة ، وبين نظام الفساد المشبع باموال الوطن وبخراب المدن ، فأن التدخلات الخارجية قائمة وجميعها اقليميا ودوليا لاتريد للعراق أن يعود لدوره المحوري وقدرته الفائقة صناعة القرارات والحضور المميز بين المنظومة الكونية .